

الشيخ مبارك...عبرة التاريخ وهمّة الرجال

عندما حددت المادة الرابعة من الدستور أنّ الكويت إمارة وراثية في ذرية المغفور له مبارك الصباح فإن واضعي الدستور، أميراً ومجلساً تأسيسياً منتخباً ممثلاً للأمة، قد أكدوا في هذا النص الدور التاريخي المميز للشيخ مبارك الصباح في قيادة الكويت والحفاظ على الكويت واستقرارها واستقرار نظام الحكم فيها ومن بعده الأبناء والأحفاد من ذريته، الذين أوكل لهم المجتمع مسند الإمارة ومسؤولية الحكم، وهو ما تحدّد لاحقاً في الدستور في إطار نظام الحكم الديمقراطي ومؤسساته ومسؤولياته.

ولئن كانت تمر هذه الأيام الذكرى المئوية لتولي الشيخ مبارك الصباح الحكم، فإنها تمثل من جهة امتداداً لإمارة مستقرة منذ أكثر من قرنين ونصف القرن من الزمان، وتمثّل تواصلاً لمسؤولية الحكم منذ ذلك الحين.

وعبر هذا القرن شهدت الكويت تحولات كبرى وأحداثاً جساماً، كما واجهت تحديات خطيرة، وخلال هذه التحولات والأحداث وفي مواجهة تلك التحديات، كانت أسرة الحكم جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الكويتي وكانت الشورى فالديمقراطية أساس هذه العلاقة، ولم يرتض الكويتيون سبيلاً غير هذا لشأن الحكم في بلادهم، ولعل تمسك الكويتيين بشريعتهم خلال محنة الإحتلال أبلغ مثال على هذا النهج الثابت في العلاقة وهو نهج لا يحتاج إلى مزيد من تأكيد ولا يقبل نبذة من تشكيك.

واليوم والكويت تواجه التحدي الأكبر المتمثل في اختيار وجهة جديدة للتنمية، وهي مقبلة على القرن الحادي والعشرين بكل احتمالاته، وفيما أصبحت التحديات الاقتصادية والاجتماعية، بكل تعقيداتها ماثلة للعيان، مما يتطلب إحداث نقلة نوعية في البلاد تتمثل في تبني مشروع النهضة الكويت، فإن المجتمع الكويتي يتطلع إلى المسؤولية السياسية والتاريخية والاجتماعية للحكم في رعاية مشروع النهضة المنشود.

ونحن في " الزمن " سبق أن أن أگدنا في افتتاحياتنا، الحاجة الملحة لتبني ورعاية مشروع النهضة المأمول، والذي نعتبره أمراً مصيرياً وليس مجرد خيار، وإن كان خياراً فهو الخيار الوحيد لضمان

حياة كريمة ولتأمين مستقبل ابنائنا وللحفاظ على دور الكويت ، يتجاوز كونها مجرد بلد منتج للنفط ، الأيل ذات يوم إلى نضوب ، فعمر الكويت لا يجب أن يكون مرهونا بوجود النفط ، فالكويت وجدت قبل النفط ويجب أن تستمر به وبدونه .

ولئن كانت كويت عهد الشيخ مبارك ومن قبله ومن بعده ، إلى منتصف هذا القرن ، لا تعتمد على النفط مورداً للرزق ، فقد كانت الكويت ميناءً مزدهراً ومركزاً تجارياً ينبض مجتمعه بالحياة ، وعندما حبانا الله بالنفط الذي عم خيريه ، كان لابد من انتهاء هذه الفرصة التاريخية الثمينة لإحداث نهضة ولتأمين الأزدهار ، إلا أنه وبكل أسف فقد بددنا فترات طويلة من هذه الفرصة التاريخية عبر تكريس قيم المجتمع الاستهلاكي وترسيخ قواعد الاقتصاد الريعي والاعتماد على الإنفاق الحكومي بدلاً من بناء الاقتصاد المنتج الذي يضمن استمرار الرخاء وتنمية البلاد .

واليوم وقد برزت حقيقة عجز النمط الاستهلاكي والاقتصاد الريعي على الاستمرار في ظل تآكل الاحتياطي وعجز الميزانية وتنامي السكان وتحديات العصر ، فقد أصبح الأمر ملحاً للانطلاق من جديد نحو كويت تكون ميناء المنطقة المزدهر ومركزها التجاري والمصرفي والخدمي الفاعل ، وهذه مهمة سياسية واجتماعية وتاريخية ضخمة تتطلب من القوى الحية في المجتمع ، وفي مقدمتها الحكم ، التفاتة جادة .

ولعلنا نستمد من ذكرى مرور قرن على عهد الشيخ مبارك عبرة التاريخ وهمة الرجال .